﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾

[فُصّلت: 35]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

لا يجد فضلَ خصلةِ دفعِ الإساءة بالإحسان إلّا الصّابرون المحظيّون عند ربِّهم

لَمّا كان من أمره تعالى أنَّه حثَّ على خصلة عظيمة بأن يُدْفَع بالَّتي هي أحسن، فهي من الخصال الجامعة لمصالح الدّين والدُّنيا؛ أشار هنا إلى عظيم فضلها، وبديع نُبْلِها، حاثًّا على الاستظلال بجميع ظِلّها، مُنبِّهًا على مخالفتها لجِبلَّة الإنسان، ثمَّ حثَّ على الرَّغبة في طلبها من واهبها الحقِّ سبحانه، ثمَّ أخبر بأنَّه لا يجد هذه الخصلة الحميدة إلّا مَنِ اتَّصف بالصَّبر، وكان ذا نصيبٍ وبَختٍ جليلٍ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُلَقَّىٰهَآ﴾: (لقي) أصلٌ يدلُّ على اللِّقاء والاستقبال[2]، واللِّقاء: مصادفةُ الشَّيء للشَّيء ومقابلتُه له معًا، وتَلَقّاه: استَقْبَلَهُ، وفُلانٌ يَتلَقّى فُلانًا، أي: يَستَقبِله[3]، فالتَّلقّي معناه: التَّعرُّض للقاء الشَّيء، ولَمّا كان الاستقبال للشَّيء تعرُّضًا للقائه؛ قيل له: تَلَقٍّ، ويُقالُ: لَقَّيْتُه الشَّيءَ، فَتَلَقَّى، أي: عرضته لأن يراه، فتعرَّضَ له، فَلَقَّيْتُه من (لقى)، مثلُ: رَأَيْتُه من (يرى)، ثمَّ صار التَّلقّي بمعنى الأخذ؛ لأنَّ الإنسان إنَّما يستقبل ما يحرص عليه، فكلُّ كلامٍ استقبلتَه، فأنتَ مريدٌ أخذَه، وإلّا أعرضتَ عنه، وجميع أهل اللُّغة والمعاني فسَّروا (التَّلقّي) هاهنا بالأخذ والقَبول[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 188، 189.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لقي).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (لقي).
(4) ابن دريد، جمهرة اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح، والواحديّ، التّفسير البسيط: 2/ 402، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (لقي).

2) ﴿صَبَرُواْ﴾: (صبر) أصلٌ يدلُّ على الحَبْسِ، يُقالُ: صَبَّرتُ نفسي على ذلك الأمرِ، أي: حبستُها[1]، وهو أيضًا: الإمساك في ضيقٍ، والصَّبْرُ لفظٌ عامٌّ، وربَّما خولِف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النَّفس لمصيبة؛ سُمّي صبرًا لا غير، ويُضادُّهُ الجَزَع، وإن كان في محاربة؛ سُمّي شجاعةً، ويُضادُّه الجُبن، وإن كان في نائبة مُضجِرة؛ سُمّي رَحْبَ الصَّدرِ، ويُضادُّه الضَّجر، وإن كان في إمساك الكلام؛ سُمّي كِتمانًا، ويضادُّه المَذَلُ[2]، وقد سمَّى اللّهُ تعالى كلَّ ذلك صبرًا[3]، والصَّبْرُ في الآية معناه: الثَّباتُ على تَحَمُّلِ المَكْروهِ والمَشاقِّ[4].

3) ﴿حَظٍّ﴾: (حظّ) أصلٌ واحدٌ، وهو النَّصيبُ من الفضل والخَيْر، وجمعه: حظوظ، وفُلان ذو حَظٍّ وقِسْم من الفضل[5]، والحُظوةُ والحِظوَةُ والحِظَةُ: المكانة والمنزلة للرَّجلِ من ذي سُلْطان ونحوِه، تَقول: حَظي عِندَه يحظى حظوة[6]، والمُرادُ به هنا: النَّصيبُ الوافر من الخَير.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الخُلُقُ مُنتهى كمالِ البَشَر

لا يُعطَى هذه الخَصلةَ الشَّريفةَ، ويعمل بها، وهي دفع السَّيِّئة بالحَسَنة، إلّا الَّذين صبروا على كَظْم الغَيظ، واحتمالِ المكروه، والصَّبرُ شاقٌّ على النُّفوس، فمَن يُعْطَ هذه الخصلة؛ فهو ذو نَصيبٍ وافرٍ مِنَ الخَيرِ، فإذا صَبَّرَ الإنسانُ نَفْسَهُ، وامتَثَل أمْرَ رَبِّه، وعَرَف جَزيلَ الثَّوابِ، وعَلِم أنَّ مُقابلتَه للمُسيءِ بجِنسِ عَمَلِه لا تُفيدُه شيئًا،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صبر).
(2) المَذَلُ: الضَّجَرُ والقَلَقُ، مَذِلَ مَذَلًا فهو مَذِلٌ، والأُنْثَى مَذِلَةٌ، يُنظر: ابن سيده، المحكم: 10/ 75.
(3) الرّاغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفّاظ: (صبر).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 190، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 7/ 518.
(5) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (حظّ، حظو).
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن سيده، المحكم: (حظّ، حظو).

ولا تَزيدُ العَداوةَ إلّا شِدَّةً، وأنَّ إحسانَه إليه ليس بواضِعٍ قَدْرَه، بل مَن تواضَعَ للّه؛ رفَعَه؛ هان عليه الأمرُ، وفَعَل ذلك مُتلذِّذًا مُستَحْلِيًا له[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ التَّعبير بالواو في قوله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ عاطفة؛ إذْ عطفت هذه الجملة على الجملة من قوله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[2]، فيتكشَّف لنا أنَّ الصَّبر ليس مجرَّدَ تحمُّلٍ، بل هو أساسٌ في تحقيق المعاملة الحسنةِ التي تتحوَّل معها العداوةُ إلى صداقة، وتصبح العاقبةُ الطَّيِّبة من نصيب مَن يلتزم بهذا الخُلُقِ العظيم.

رَبْطُ الصَّبرِ بالمعاملة الحَسَنة، وتحوُّلُ العداوةِ إلى صداقة

ويجوز في الواو هنا أن تكون استئنافيَّةً تفصل بين الجُملتَيْن؛ بيانًا لذاك الفعل الكريم والخصلة الشَّريفة والسَّجيَّة العالية، ألا وهي مقابلة الإساءة بالإحسان[3]، فهو هنا كلامٌ جديد دالٌّ على استقلاله وأهمّيَّته؛ ليؤكِّدَ أنَّ فعل الإحسان وسيلةٌ لتصفية القلوب، وتعميق معاني الرَّحمة والتَّسامح، وأنَّ ثمرته الثَّوابُ الجزيلُ والجنَّة.

الثَّواب الجزيل ثمرة المقابلة بالإحسان

ويجوز في الواو هنا أن تكون حاليَّةً، أي: حالًا من الجملة في قوله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، فإنَّ هذه المعاملةَ الحسنة، والمدافعةَ التي هي الأحسن، لا يُحسنها إلّا أولئك الذين امتازوا بالصَّبر، فإنَّ الحسنات قد يوفَّق إليها غيرُهم[4]، غيرَ أنَّ الصَّبر هو الَّذي يُميِّز الذين يُلاقون هذا الثَّوابَ الجزيل، والجزاءَ العميم.

المعاملةُ الحَسَنة والمدافعةُ الأحسن لا يُحسِنها إلّا أولئك الصّابرون

سِرُّ التَّعبير بـ(ما) دون (لا) في قوله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾:

النَّفي بـ(ما) نفيٌ مظروفٌ بالزَّمان والمكان، واردٌ على الحال

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 434، والزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 200، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 49.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 294.

(3) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 8/ 455.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 294.

متى دخل على مضارع، ولا كذلك النَّفيُ بـ(لا)، التي تُشيعُ النَّفيَ في مدخولها زمانًا ومكانًا دونَ قيدٍ، والأمرُ الَّذي تحدَّث القرآنُ الكريم فيه هنا يُحَبِّبُه، ويُرغِّبُه، ليس ممّا يُؤتاه خليقةً إلّا ذوو النُّفوس الكبار، وممّا يوضِّح ذلك جليًّا الآتي بَعْدُ في سورة (الشّورى): ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: 43]، فهي غاياتٌ بعيدةُ المَرْمى، عزيزةُ المنال، صُعُدًا في الكمال؛ لهذا كان اقتضاء المقام النَّفي بـ(ما) لتَشْعُر بنُدْرةِ المقام وبُعْدِ الغاية، وحاجةِ الطّامح للتَّرقّي إليه بعون من اللّه وتوفيق.

التَّأهُّل لعزائم الأمور ومعاليها نادرٌ، والمُصْطَفون لها صفوتُهم

دلالةُ التَّعبير بقوله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾:

استُعمِل الفعلُ في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ دون غيره؛ لأنَّه يعكس معنى التَّلقّي الذي يتطلَّب استعدادًا نفسيًّا، وعزيمةً قويَّة، فهذه الخصال لا تُنال إلّا بعد رياضة شديدة، ومرونةٍ نفسيَّة في التَّغلُّب على الهوى والرَّغبة في الانتقام، وفيه تنويهٌ بفضيلة الصَّبر، الذي يُعدُّ مُفتاحًا لهذه الفضيلة العظيمة وثوابها الجزيل[1]، فالصَّبرُ خصلة حميدة تتطلَّب مجاهدةً للنَّفس؛ لنيل الفوز العظيم في الدّارين.

لا بدَّ من الاستعداد والعزيمة في الصَّبر والتَّغلُّب على الهوى

والفعل ﴿يُلَقَّىٰهَآ﴾ مُشتقٌّ من الإلقاء، وهو فعلٌ يُحيل إلى العُلوِّ والرِّفعة؛ ليُشيرَ بذلك إلى عُلوِّ منزلةِ خصلةِ الدَّفعِ بالَّتي هي أحسن، فتلك الفضيلةُ لا تُمنَح، ولا توهَب إلّا لأولئك الَّذين صبروا[2]، فبلغوا منازلَ عظيمةً في مجاهدة النَّفس، وجعلوا الصَّبر سجيَّةً لهم، فاستحقّوا بفضل صبرهم هذا الشَّرفَ العظيم.

الإلقاء مِن عُلوٍّ دليلٌ على رفعة منزلة الدَّفع بالأحسن، التي لا تنال إلّا بالصَّبر

سِرُّ بناء الفعل المضارع للمفعول ﴿يُلَقَّىٰهَآ﴾:

لَمّا كانت خصلة: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ جامعةً مصالحَ الدّين والدُّنيا كافَّة؛ نَبَّهَ على عظيم فضلها، وبديعِ نُبْلِها، داعيًا إلى الاستظلال

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 294.
(2) الهلال، تفسير القرآن الثّريّ: 24/ 164.

خصلةُ الدَّفعِ بالتي هي أحسنُ، جامعةٌ لمصالح الدّين والدُّنيا

بجميع ظِلِّها، مُشيرًا بالبناء للمفعول في قوله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ إلى أنَّها العمدةُ المقصودة بالذّات، على الرَّغم من مخالفتها للطَّبع البشريِّ؛ ليحثَّ النّاسَ على الرَّغبة في طلبها من واهبها[1]، فكلَّما كانت صعبة على النَّفس؛ كانت أرفعَ منزلةً وأعظمَ أجرًا.

دلالةُ الإضمارِ في قوله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾:

تعظيمُ خصلةِ الإحسان، فلا يُلقّاها إلّا أصحابُ الصَّبر والجَلَد

الإضمار في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ قد يكون من باب التَّعظيم، "أي: ما يُلقَّى هذه الخصلةَ والسَّجيَّة التي هي مقابلةُ الإساءة بالإحسان"[2]، إلّا أولو الصَّبر والجَلَد، ممّا يُشير إلى شَرفِ هذه الفضيلة ورِفْعتِها، ويَعكس عَظَمَة مَن يتحلّى بها[3]، فهي لا تُنال إلّا بتجرُّدٍ من هوى النَّفس ونزعاتها.

بلاغةُ الاستعارةِ في قوله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾:

لا يقدر على حمل خصلة الإحسان إلّا الذين امتلؤوا بالصَّبر والجَلَد

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ من باب الاستعارة، فمن الفعل قولُهم: رجلٌ مُلقًّى، أي: الذي يَكْثُر عليه البلاءُ والمكاره، فيُعبَّر عن الإنسان الذي يتحمَّل المَشاقَّ والمصاعب بعبارة "مُلقًّى"، كأنَّما هو مُحمَّلٌ بتلك الأعباء[4]؛ فلا يقدر على حملها، والقيام بها إلّا أولئك الذين امتلؤوا بالصَّبر والجَلَد، كما يحمل الرَّجل الَّذي تكثر عليه الأعباء.

تحصيل الشَّيء بعد المعالجة والتَّخلُّق يُشبه السَّعيَ لملاقاة أحدٍ فيَلقاه

والفعل ﴿يُلَقَّىٰهَآ﴾ مُستعارٌ للسَّعي الحثيث في تحصيل هذه الخصلة الكريمة، فكما أنَّ لقاء أحد يتطلَّب السَّعيَ والمثابرةَ والمعالجةَ للوصول إليه ولُقْياه[5]، فإنَّ تحصيلَ هذه الفضيلةِ العظيمة بعد المعالجة والمجاهدة يُشبِهُ السَّعيَ للاقتراب من شخص؛ إذ لا يبلغها إلّا مَنْ كان قويَّ العزيمةِ، ثابتًا في صبره ومثابرته.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 188.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 14.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 189.
(4) النّسفيّ، التّيسير في التّفسير: 13/ 184.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 295.

معنى الضَّمير في ﴿يُلَقَّىٰهَآ﴾:

الضَّميرُ (ها) في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ يعود إلى ذلك الخُلُق العظيم، الذي يتمثَّل في دفع السَّيِّئة بالحسنة[1]، فالتَّعبيرُ بالضَّمير هنا يُشير إلى هذا الفعلِ النَّبيل الذي لا يُتقنُهُ إلّا الصّابرون الذين يتميَّزون بالقدرة الفائقة على مواجهة المكاره، وتحويلِ العِداء إلى مودَّة.

فضيلة الصَّبر في تحويل العِداء إلى مودَّة

ويجوز أن يكون معنى الضَّمير (ها) هو ما يُلقّى من جزاءِ ذلك الفعل وثوابِه[2]، وهو مقابلةُ السَّيِّئة بالحسنة، فيكون الضَّمير هنا قد عاد على ما يترتَّب على الفعل من أجر عظيم ونتائجَ مباركة؛ تناسبًا مع عظمة الفعل وسُموِّ المقصد.

الدَّلالة على الجزاء والثَّواب إشارةٌ إلى عَظَمَة الأجر المرتبط بذلك الفعل

ويجوز أن يكون معنى الضَّمير (ها) هو ما يُلقّى من ثمرة كلمة التَّوحيد (شهادة أن لا إله إلّا الله)، التي لا ينالها إلّا أولئك الذين صبروا على المكاره والأذى في سبيل الله، فلا يُلقّاها إلّا مَن كان له نصيبٌ عظيمٌ من الأجر في الآخرة[3].

ثمرةُ التَّوحيد لا ينالها إلّا الذين صبروا على المكاره والأذى في سبيل الله

بلاغةُ أسلوب القَصْرِ في الموضعَيْن في الآية:

ورودُ أسلوبِ القَصْر في الجُملتَيْن من قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، يُظهر بوضوحٍ أهمّيَّةَ الصَّبرِ وكونَه من خصال الخير العظيمة، فالآيةُ تستعمل أسلوبَ القَصْرِ، بالتَّأكيد على أنَّ هذه الخصلةَ العظيمة من دفع السَّيِّئة بالأحسنِ لا تُعْطَى لكلِّ النّاس؛ بل تُمنح فقط للصّابرين، وللَّذين يمتلكون حظًّا عظيمًا ونصيبًا وافرًا من الخير والفضل[4].

دفْعُ السَّيِّئة بالأحسن مقصورٌ على الصّابرين وذوي النَّصيب الكبير

سِرُّ التَّعبير بالموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

استُعمِل الاسمُ الموصول في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ

(1) الفرّاء، معاني القرآن: 3/ 18، وابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 5/ 16.
(2) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 386.
(3) القيسيّ، الهداية: 10/ 6526.
(4) الشّنقيطيّ، العذب النّمير: 1/ 46.

صَبَرُواْ﴾؛ إشعارًا لعلَّة بناء الخبر على الصِّلة، وإن كان الخبر متقدِّمًا بموجب القَصْر، والمعنى: أنَّ ذلك أحرى بكم أن تلاقوا جزاءَ دفعِكم السَّيِّئَةَ بالحسنة ومثوبتها بما كان من صبرِكم، فهو باعثٌ لكم على تلك الخصلةِ الحميدة، والخُلُق الفاضل.

صبرُ المؤمنين باعثٌ لهم على التَّخلُّق بخُلُق دَفْعِ السَّيِّئة بالأحسن

دلالةُ التَّعبير بـ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ دون (الصّابرون):

استعمل النَّظمُ الكريم عبارةَ: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ بدلًا من (الصّابرون)؛ لأنَّه أراد أن يُسلِّط الضَّوءَ على الأفراد الذين تجلَّت فيهم حقيقةُ الصَّبر، وأصبحت جُزءًا لا يتجزَّأ من شخصيّاتهم، هؤلاء الذين استمرّوا في كظم غيظهم، وتحمُّل المكاره بجَلَدٍ وثبات[1]، فالصَّبرُ عندهم ليس مُجرَّد صفةٍ عَرَضيَّة، بل هو فضيلةٌ راسخةٌ في نفوسهم، تنبثق من أعماق إيمانهم، وتنعكس في سلوكهم اليوميِّ.

وُجِدَت منهم هذه الحقيقةُ، ورُكِزَت في طباعهم، فكظموا الغيظَ، واحتملوا المكاره

ويجوز أن يكونَ هذا الاستعمالُ واردًا؛ ليُؤكِّدَ عُمقَ صبرِ هؤلاء الأفراد وتفرُّدهم، وأراد بذلك أن يجعل الموصولَ دالًّا على استغراق صبرهم وتحمُّلهم[2]؛ إذ يُعبِّر عن استمرارِ هذه الفضيلةِ وثباتِها، ممّا يعكس قوَّةَ إيمانِهم وثباتَهُم في مواجهة المِحَن.

الاستغراقُ والتَّفرُّد في صبر الذين صبروا

ويجوز أن يكون عدولُ السّياق الحكيم عن استعمال الاسم الظّاهر (الصّابرون) إلى الاسم الموصول وصلته: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾؛ ليدلَّ على أنَّ الصَّبر خُلُقٌ متأصِّل فيهم، وهو العون في معاملة المُسيء بالحُسْنى، ولأنَّه أراد التَّأكيدَ على أنَّ الصَّبر سجيَّةٌ راسخة في نفوسهم، ومركوزةٌ في طباعهم[3].

سرُّ التَّعبير بـ﴿صَبَرُواْ﴾ مادَّةً وصيغةً:

استعمل النَّظمُ الكريم مادَّةَ (الصَّبر) في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 189.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 375.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 295.

وهو تعبير عنِ احتمال ما يُؤذي في الظّاهر، لكنَّه يجلب النَّعيمَ في الباطن[1]، واختيارُ صيغةِ الفعل الماضي؛ للدَّلالة على أنَّ الصَّبر خُلُقٌ راسخ فيهم، وهو العونُ لهم في معاملة المسيء بالحسنى[2]، فالصَّبرُ ليس ردَّ فعلٍ مؤقَّت، بل هو صفةٌ متجذِّرة، وأسلوبُ حياة.

عمقُ الصَّبرِ وأثرُه الباطن في تجسيد الإيمان والثَّبات في مواجهة الأذى

دلالةُ الواو في قوله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ متضمِّنةٌ معنى (أو)؛ إذ تشير إلى أنَّ مَن يُلْهِمُه اللهُ تعالى دفْعَ السَّيِّئة بالحسنى، لا يكون إلّا فردًا صابرًا، أو ذا حظٍّ عظيم، فالتَّحلّي بالحُلُم والتَّسامح هو منحةٌ إلَهيَّة، لا توهَب إلّا لِمَن يمتلك صبرًا جليلًا، أو حظًّا وافرًا عظيمًا[3].

ما يُلقّى ثوابُ الدَّفعِ بالأحسن إلّا مَن هو صابرٌ أو ذو حظٍّ عظيم

في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ نجد أنَّ إعادة فعلِ التَّلقّي دونَ الاكتفاء بحرف العطف، يُظهر مزيدًا من الاهتمام بهذا الخبر، بحيثُ لا يختبئ أيُّ جزءٍ من معناه الصَّريح تحت العاطف[4]، ويجوز أن تكون الواو عاطفةً تعطف جملةَ الذين اتَّصفوا بصفة الحظِّ العظيم، على جملة الذين اتَّصفوا بالصَّبر[5]، فالعلاقةُ وثيقةٌ بين الصَّبر والحظِّ العظيم، وأنَّ هذه الصِّفات السّاميَةَ ليست منفصلةً بل تتكامل في شخصيّات المؤمنين.

تكرارُ العاطف تأكيدٌ إضافيٌّ على أهمّيَّة الصَّبر والحظِّ العظيم

سِرُّ التَّعبير بقوله: ﴿يُلَقَّىٰهَآ﴾ دون (يَلْقاها):

استعمل النَّظمُ الكريم الصَّيغةَ الفعليَّة المضعَّفة ﴿يُلَقَّىٰهَآ﴾، بدلًا من المُجرَّدة (يلقاها)، فجعلها لاقيةً للخَصْلة التي هي مقابلةُ الإساءَةِ بأحسنِ الحَسَنِ، وهو الإحسانُ الذي يتجاوز العفوَ والصَّبرَ

إظهارُ مدى الشِّدَّةِ والمبالغة في مَنْحِ هذه الفضيلةِ العظيمة

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 18/ 11027.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 295.
(3) الفرّاء، معاني القرآن: 3/ 18.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 295.
(5) الدّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 562.

والاحتمال، وهذه الصّياغةُ البليغة تُظهر مدى الشِّدَّةِ والمبالغة في منح هذه الفضيلة العظيمة[1]، الَّتي تتطلَّب جَهْدًا وإرادةً قويَّةً لاحتضانها والتَّمسُّك بها في مواجهة التَّحدّيات والإساءات.

سرُّ تكرار جملة: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾:

مدحُ الصّابرين ووعدُ أصحابِ الحَظِّ العظيم

لَمّا بيَّن تعالى أنَّ هذه الفضيلةَ العظيمة لا يُلقّاها إلّا مَن تَحلّى بالصَّبر، واحتمل المكاره؛ أعاد ذِكْرَ جملة: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ مشفوعةً بوصف: ﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾؛ ليؤكِّدَ عَظَمَةَ هذه المنزلةِ، الَّتي ترتقي بصاحبها إلى أعلى مراتب الأخلاق، فكان قولُه: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ مدحًا للصَّبر، وثناءً على أهله، وقولُه: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ وعْدًا بأعظم الجزاء، وأجَلِّ الثَّواب لِمَن كان له نصيب وافرٌ من الصَّبر والتَّحمُّل[2].

فائدة تكرار حرف النَّفي مع الفعل ﴿يُلَقَّىٰهَآ﴾:

تعظيمُ الفضيلة، وتأكيدُ مراتبِ أصحابها واستقلالِ كلٍّ منهم

التَّكرار في نفي تلقّي هذه الفضيلة: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾؛ للدَّلالة على تعظيم شأنها، وإظهارِ زيادةِ أهمّيَّتها، وهذا التَّكرارُ يعكس أيضًا أنَّ أصحاب هذه الخصلة العظيمة هم على مرتبَتَين، وكلٌّ واحدةٍ منهما لها مقصود بنفسه[3]، الأولى: هي مرتبة الصَّبر التي تُعَدُّ أساسًا لهذه الفضيلة، والأُخرى: هي مرتبة الحظِّ العظيم التي تعكس أعلى درجات التَّوفيق والجزاء.

دلالة المضارع ﴿يُلَقَّىٰهَآ﴾ في الموضعَيْن:

دعوةٌ مستمرَّةٌ لتحقيق الفضيلة والسَّعي نحو الإحسان

جيء بـ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ بصيغة المضارع في الموضعين؛ إشارةً إلى أنَّ المأمور بالدَّفع مأمور أيضًا بتحصيل هذا الخُلُق الكريم في المستقبل[4]، وهو دعوة مستمرَّة ومتجدِّدة للعمل بها في كلِّ وقت،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 189.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 565.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 189.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 295.

فيستمرُّ الإنسانُ في السَّعي لتحقيق هذا الخُلُقِ النَّبيل، والتَّأمُّلِ في كيفيَّة دفع الإساءة بالحسنى كأمرٍ مستقبليٍّ يتطلَّب اجتهادًا دائمًا.

سرُّ التَّعبير بـ﴿ذُو﴾ دونَ (صاحب):

عبَّر النَّظمُ الكريم بلفظ ﴿ذُو﴾، ولم يعبِّر بـ(صاحب)؛ ليدلَّ ذلك على أنَّ الحظَّ العظيم من الخير ليس محضَ صفةٍ عارضة، بل هو سجيَّةٌ ومَلَكة راسخة في صاحبها[1]، فإضافةُ هذا اللَّفظ إلى الحظِّ العظيم تحقيقٌ بأنَّ هذا الحظَّ جُزءٌ لا يتجزَّأ من شخصيَّته، وأنَّه متأصِّل في طبعه وكيانه.

الحَظُّ العظيمُ ليس محضَ صفةٍ عارضة، بل سجيَّةٌ ومَلَكَة راسخة في صاحبها

واستُعمِل لفظُ ﴿ذُو﴾؛ لأنَّه أشرفُ وأبلغ في الثَّناء والمقصد من (صاحب)، فلفظُ ﴿ذُو﴾ يُضاف إلى التّابع، كما في قولنا: (ذو النّون)، أمّا (صاحب)؛ فيُضاف إلى المتبوع، كما في قولنا: (صاحب الحوت)، والتّابعُ أرفعُ وأسمى من المتبوع[2]، ممّا يُضفي على الموصوف باقترانه بالحظِّ العظيم مكانةً رفيعة، ومبلغًا ساميًا لا يحظى به كلُّ أحد.

إضفاءُ المكانة الرَّفيعة والمبلغِ السّامي على الموصوف بأنَّه ذو الحظِّ العظيم

سرُّ اختلافِ التَّعبير في قوله: ﴿إِلَّا ذُو﴾ عن سابقتها ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ﴾:

اختلف التَّعبيرُ في النَّظم الكريم، فورد أوَّلًا بصيغة الجمع في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾، ثمَّ تحوَّل إلى صيغة الإفراد في قوله: ﴿إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، في إشارة بليغة إلى قلَّةِ مَن يستقيم على هذه الخصلة الرَّفيعة ونُدْرته[3]، فصيغةُ الإفراد تُظهر أنَّ بلوغ هذه المرتبة السّامية من الإحسان ليس بالأمر اليسير، بل هو مقصورٌ على قلَّةٍ مختارة ممَّن تميَّزوا بحظٍّ عظيم من التَّوفيق والفضل.

المرتبةُ السّامية من دفع السَّيِّئة بالأحسن مقصورةٌ على قِلَّة مختارة مِن خَلْقِهِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 295.
(2) الهلال، تفسير القرآن الزّيّ: 17/ 87، و24/ 47.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 189.

سرُّ التَّعبير بـ﴿حَظٍّ﴾ منكَّرًا دونَ نصيب:

هو الثَّواب العظيم، أو هو الجنَّة، ولا أعظمَ حظًّا من الجنَّة

اختيرَ لفظُ (الحظِّ) في قوله تعالى: ﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ بدلًا من (النَّصيب)؛ إشارةً إلى الحظِّ الكبير المترتِّب على الثَّواب العظيم، أو ما يمثِّله من نعيم الجنَّة[1]، وجاء التَّعبيرُ بصيغة التَّنكير لتعظيم هذا الحظِّ، وإبرازِ جلالِه، وهو ما أكَّدَهُ وصْفُه بالعظيم، ممّا يوحي بأنَّه حظٌّ لا يُضاهيه أيُّ حظٍّ آخر، والحظُّ يُطلق على النَّصيب عمومًا، لكنَّه يُستعمل غالبًا للدَّلالة على النَّصيب من الخير على وجه الخصوص، وهو المعنى المقصود هنا، ويتَّضح ذلك إمّا من خلال السّياق الذي يقتضي الخيرَ والجزاء، أو مِن خلال دلالة اللَّفظ ذاتِه، التي تُشير إلى ما هو محمود ومطلوب[2].

دلالةُ وصف ﴿حَظٍّ﴾ بـ﴿عَظِيمٍ﴾ منكَّرًا دون (كبير):

مَنْ كان حظُّه الجنَّة فلا أعظمَ ولا أفخمَ من ذلك

لَمّا ذَكَر الحظَّ بقوله تعالى: ﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾؛ وصَفَهُ بالعظيم مُنكَّرًا، ولم يَقل: (كبير)؛ لأنَّ (العظيم) يحمل في طيّاته دلالةً أسمى وأعمق، تُشير إلى الجنَّة وما فيها من النَّعيم المقيم[3]، وجاء التَّنكيرُ هنا؛ ليُضفي على هذا الحظِّ مزيدًا من التَّعظيم والتَّفخيم؛ إذ لا حظَّ أعظمُ من الجنَّة ونعيمِها الأبديِّ.

دلالةُ ذِكْر ﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ بعد الصَّبر في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾:

في الصَّبر والحَظِّ العظيم تكاملُ الفضائلِ؛ لتحقيق دفعِ السَّيّئة بالحُسنى

لذكر ﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ بعد الصَّبر في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ دلالةٌ؛ فإنَّ التَّحلّي بالصَّبر يُعدُّ شرطًا أساسيًّا لامتلاك فضيلة دفعِ السَّيِّئة بالحُسنى، غيرَ أنَّ الصَّبر ليس الشَّرطَ الوحيدَ لتحقيق هذه الفضيلة؛ بل وراءَه شروطٌ أخرى تتكامل لتشكِّلَ ما عَبَّر عنه النَّصُّ بالحظِّ العظيم، وهذا الحظُّ العظيم يشمل مجموعةً من الأخلاق

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 200.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 295.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 472، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 14.

الفاضلة التي لا ينفكُّ الصَّبرُ عن كونها جُزءًا منها، لكنَّه - أي: الحظُّ العظيم - في الوقت نفسه أوسعُ وأشمل من مجرَّد الصَّبر[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بالجملة الاسميَّة ﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾:

ثـبـوتُ قِـسْـم الـسَّـعـادة له عَـطـاء مـنَ الله مُقدَّرًا أزَلًا

جاء اختيارُ الجملةِ الاسميَّة في قوله: ﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾؛ للتَّعبير بالوصف الثّابت له، دونَ أن يكون للأسباب شأنٌ فيه، فهو القَدَرُ الأعلى الذي اختير له اصطفاءً من الله، فهو ثابتٌ له ثبوتَ الانتجابِ للانتخاب، وأُجريَ له إثرَ مواقفَ في كظمِ الغيظ والعفو عن النّاس والصَّبر، ومقابلةِ السَّيّئة بالَّتي هي أحسن، وذلك متربِّعٌ على عرش الحِلْم والرِّفق، على حدِّ ما جاء في الإرشاد النَّبويِّ المُطهَّر: «اعملوا، فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلق له»[2]، فكان ما نزعوا إليه من العمل مُعلمًا برفيع رتبتِهم وثبوتِ مزيَّتِهم، وأنَّهم مختارون انتقاءً لنيل هذا الحظِّ البالغ في العَظَمة أوجَ الاستقصاء.

حاصلُ دلالةِ الجُملتَين:

الـصَّـبـر مفتاح الـحـظِّ الـعـظـيـم فـي تـرابـط الـفـضـائـل وعُـلـوِّ المراتب

حاصل الجُملتين الكريمتين من قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ يتلخَّص في بيان أنَّ كلَّ مَن يتحلّى بالصَّبر هو المُؤهَّل لنيل هذه الفضيلة، وكلَّ مَن ينالها فهو بلا شَكٍّ ذو حظٍّ عظيم[3]، ومن هذا التَّرابط المنطقيِّ ينشأ المعنى البديع: أنَّ كلَّ صابر هو ذو حظٍّ عظيم، وهذه النَّتيجة تتوِّج صاحبَها بأرفع درجات الكمال الأخلاقيِّ، وجليل الثَّواب الرَّبّانيِّ، ويجوز أن يكون حاصل الجُملتين أنَّ مَن يوفَّق لنَيْل هذه الفضيلة العظيمة - التي هي دفع السَّيّئة بالحُسنى - ليس إلّا مَن تحلَّى بالصَّبر، وامتلك حظًّا عظيمًا من الأخلاق والفضائل، فهي ليست أمرًا هيِّنًا يدركُه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 295.
(2) أخرجه البخاريّ في صحيحه، الحديث رقم: (1362)، ومسلم في صحيحه، الحديث رقم: (2647).
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 375.

الجميع[1]، بل هي خصلةٌ لا يُلقّاها إلّا مَن كان أهلًا لها ممَّن تميَّز بالثَّبات والصَّبر.

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

الحَظُّ والنَّصيب:

النَّصيب يحصل في المحبوب والمكروه؛ لذلك يُعبَّر بالقول: وفّاه اللّهُ نصيبَه من النَّعيم أو من العذاب، ولا يُعبَّر بالحظِّ؛ لأنَّ أصل الحظِّ هو ما يمنحه المولى سبحانه لعبده من الخير، فالحظُّ يَرِد على جهة المدح، فيُقال: لفلان حظٌّ، وهو محظوظ[2]، والحظُّ يُشير إلى ما يمنحه اللّهُ تعالى لعبده من النِّعمة والرِّزق، وهو مرتبطٌ بالفضل الإلهيِّ والكرم الرَّبّانيِّ، أمّا (النَّصيب)؛ فيُشير إلى المقسوم والمُقَدَّر، وقد يكون خيرًا أو يكون شرًّا، فيليق أن يوصفَ من نال نعيمَ الجنَّة بأنَّه ذو حَظٍّ موصوفٍ بأنَّه عظيم.

النَّصيبُ يحتمل المحبوبَ والمكروه، والحَظُّ ما يمنحه اللهُ تعالى من خير ورزق

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 296.

(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 540، 541.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والخمسون،
سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 52 ، 818 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-48-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 52 : المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-48-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0346315 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"